حكمت اميركا من الخمسينات الى السبعينات ، وهي مجموعة ذات تراث بروتستنتي منحجر ، انهارت مع انهيار المواقع الاميركيه في جنوب شرقي اسيا · هذه النخبة هي التي صاغت فلسفة اميركا الغازية ، المتوحشة واخرقت صورة « اميركا الحرة » الداعية الى الحرية الفودية والديمقراطية · اميركا البدايات ، التي يستعيد بريجنسكي ذكراها الان بحنان ويستلهم رموزها ·

وقد يبدو سهلا ان نجيب على هذا الرأي باستحضار القوانين العامة للامبريالية ، وبالقول ان التاريخ الاميركي كان لا بد ان يأخذ هذا المنحى · ولكن هذا الرأي يحمل شيئا من التبسيط بالنسبة لمفهوم التاريخ ، اذ يخفي احتمالاته المتعددة ، ويهمل المستوى السياسي الغني بمفاجآته المتنوعة ·

والحقيقة ان ما يقوله بريجنسكي ، يطرح تساؤلات مهمة خاصة فيما يتعلق بالمنطقة العربية · فلماذا ورثت اميركا الامبريالية التشكيلات الاستعمارية من انكلترا التي ابقت عليها طوال قرن ، وبعد ان انتقلت في الداخل من الاستعمار الى الامبريالية نهائيا ؟ ان هذا التفاوت بين اشكال المجتمع الاميركي من جهة والتشكيلات التي يسيطر عليها واشكال هذه السيطرة من جهة اخرى ، هي لب المشكلة التي يثيرها بريجنسكي ، دون ان يطرحها · ويجيب عليها بشكل متسرع ، حاصرا ابعادها بتركيبة المؤسسات الاميركية وطبيعة النخبة الحاكمة ·

وعلى كل حال ، فلكلام بريجنسكي هدف النقد المباشر ، هدف تحطيم هذه النخبة ووراثتها ، ومحاكمة كيسنجر على اساس موقفه منها · كيسنجر لم يشكل في رأيه البديل المتجانس لهذه النخبة المنهارة ، لقد كان وليد هذا التخبط والفراغ في السلطة· ولكنه لم يستطع تمثيل مجموعة نخبوية ذات ايديولوجيا واضحة · ان كيسنجر ، او ادارة نيكسون بشكل عام ، هي برأي مستشار كارتر ، ادارة انتقالية اجلت الكارثة واخفتها بحذلقة و « شطارة » ، ولم تعالجها ·

والكارثة هي ضعف القوة الاميركية وقدرة اميركا الستراتيجية على تركيز مواقع نفوذها في العالم · لقد ادار كيسنجر السياسة الخارجية وكأن موقع اميركا الستراتيجي لم يتغير في الواقع ، اي انه لم يغير سوى الشكل ، ولم يعترف بالكارثة ، وتلافى مواجهتها وجها لوجه · اي استعاد نفس انماط السياسة الخارجية التي سادت اوروبا بعد مؤتمر فينا والتي ارتكزت جوهريا على مبدأ توازن القوى بين الدول الكبرى الخمس ·

كان كيسنجر يواجه توازن القوى الستراتيجي ، بمحاولة سياسية دائمة لتثبيت هذا التوازن والاستمرار بالوضع الراهن · ولكن اي توازن ستراتيجي ، بين اميركا والاتحاد السوفياتي يتضمن وهمين : وهم ثبات مواقع الخصم وقوته، ووهم اعتبار اوروبا واليابان والصين كقوى متساوية مع الاتحاد السوفياتي · فالواقع ، اي واقع الستراتيجية العالمية ، هو بنظر بريجنسكي واقع استقطاب ، واقع متجاذب بين قطبين متصارعين ، يحاولان استخدام القوى الرئيسية الثلاث الباقية ، او منع الخصم من استخدامها ·

وضمن هذا العالم لا يمكن لاميركا ان تتعامل مع الاتحاد السوفياتي وكأنه قوة من بين هذه القوى ، يعادلها اهمية ، او ان تعامل نفسها على هذا الاساس · فهذا التعامل لن يؤدي الى توازن استراتيجي بل الى معادلة « سياسية » وهمية تفقد ضمنها الولايات المتحدة حلفاءها الاساسيين ، فاذا تعاملت هذه الاخيرة مع اوروبا كما تتعامل مع الاتحاد السوفياتي ، فلا شك ان اوروبا